الدرس الأول : من القرآن الكريم

من سورة آل عمران : الآيات من (٩٠-٩٧)

آيات الحفظ (٩٠-٩٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الكفر	ضد الايمان. ومنه الجحود لله تعالى والتكذيب برسوله وما جاء به من الدين والشرع.
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ	أي: ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر.
الضَّالُّونَ	المخطئون طريق الهدى.
مِلءُ الأَرْضِ	ما يملأها من الذهب.
وَلَوِ افْتَدَى بِهِ	ولو قدّم فداء لنفسه من النار ما قبل منه.
تنالوا البِرَّ	نال الشيء حَصَلَ عَلَيهِ. والبر: مطلق الخير
البِرَّ	مَا يَكُونُ بِهِ الإِنْسَانُ بَارّاً وَهُوَ الإِحْسَانُ وَالخَيْرُ.

المعنى العام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آل عمران: ٩٠ – ٩١

إن قَبول التَّوبَةِ مَشروط بالايمَانِ . فَالذِينَ يَكفرُونَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ . وَيَزْدَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ طُغْيَاناً وَفَسَاداً . وإِيذَاءً لِلْمؤمِنِينَ . وَيَستمِرُّونَ فِي ذَلكَ حَتَّى مَمَاتِهِمْ. فإنَّ الله تعالى لَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتهم عند المَوْتِ. لأنها لَيْسَتْ تَوبَةً خَالِصةً . وهَؤلاءِ

هُم أَهْـلُ الضَّلَالَةِ . إن الذين جحدوا نبوة محمد (ص)، وماتوا على الكفر بالله ورسوله، لن يقبل من أحدهم فدية . ولو افتدى بملء الأرض ذهبا . ولهم عذاب مؤلم موجع . ومالهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ آل عمران: ٩٢

لن تنالوا أيها المؤمنون الخيـر والجنـة حتى تنفقـوا في سبيل الله من أحب أموالكم إليكم . والله يعلم كل شيء ينفقه العبد في سبيـل مرضـاة ربـه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

آل عمران: ٩٣ – ٩٥

كلّ الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لأبناء يعقوب . إلّا ما حرّمه يعقوب على نفسه لمرض نزل به، وذلك قبل نزول التوراة. فلما نزلت التوراة، حرّم الله على بني إسرائيل بعض الأطعمة التي كانت حلالاً لهم بسبب ظلمهم وبغيهم . فقل لهم- أيها الرسول- هاتوا التوراة، واقرؤوها عليّ إن كنتم صادقين في ادّعائكم أنّ الله أنزل فيها تحريم ما حرّمه يعقوب على نفسه، حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن، فمن كذب على الله من بعد قراءة التوراة، ووضوح الحقيقة، فأولئك هم الظالمون القائلون على الله الباطل.

قل لهم- أيها الرسول- صدق الله فيما أخبر به، وفيما شرعه، ولذلك اتبعوا ملّة الإسلام التي هي ملّة إبراهيم (ع) فهي الحق الذي لاشك فيه. وما كان ابراهيم (ع) من المشركين بالله في عقيدة وعبادة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٧

أول بيت بني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في (مكة). وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، لمن قصده لأداء الحجّ والعمرة. وهو مصدر الهداية والنور لأهل الأرض؛ لأنه قبلتهم.

أبرز ما ترشد إليه الآيات:

١. الله لايقبل توبة الذين كفروا بعد إيمانهم. واستمروا على الكفر. فهم قد ضلّوا السبيل. وخرجوا عن نهج الحق إلى طريق الضلال.

٢. من أراد الخير ودخول الجنة. فعليه أن يتصدّق في سبيل الله من أفضل أمواله.

٣. من لاينصدق من أفضل أمواله. لايدخل الجنة.

٤. لقد صدق الله – سبحانه- في كلّ ما أوحي إلى محمد (ص). وفي كلّ ما أخبر. لذلك عليكم أن تتّبعوا ملّة الإسلام. ملّة إبراهيم- عليه السلام- التي شرعها الله على لسان محمد (ص) فإنها الحق الذي لاشكّ فيه.

٥. أول بيت بني في الأرض لعبادة الله هو المسجد الحرام الذي هو بمكة.

المناقشة:

١. هناك سلسلة من العقوبات توقع بالذين كفروا بعد إيمانهم. دلّنا عليها.

٢. المسجد الحرام في مكة المكرمة أول مسجد مبارك تضاعفت فيه الحسنات. وهناك مسجد آخر بارك الله ما حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية. ماذا تعرف عن هذا المسجد الآخر ؟ وما معنى البركات الحسيّة والمعنوية التي خصّ بها ما حول هذا المسجد؟

٣. اكتب مقالة قصيرة لاتزيد على صفحة واحدة عن نبي الله إبراهيم (ع).

الدرس الثاني: من قصص القرآن
السيدة مريم بنت عمران (عليهما السلام)

أبوها : عمران كان إمام قومه.

أمها : حنَّة خالةُ نبيّ اللّٰه يحيى) ع (وهي من العابدات الصالحات. مضت سنوات على زواج حنَّة من عمران ولم ترزق مولوداً و يروى أَنَّ اللّٰه اَوحى إلى عمران أَنَّه سيهبه ولداً مباركا يشفي المرضى الميؤوس من شفائهم ، ويحيي الموتى بإذن اللّٰه ، وسوف يرسله اللّٰه نبيا إلى بني إسرائيل . فأخبر عمران زوجته حنة بذلك فلما حملت ظنّت أن ما تحمله في بطنها هو الابن الموعود، دون أن تعلم أن ما في بطنها أم الابن الموعود مريم فنذرت ما في بطنها محررا للخدمة في بيت اللّٰه » بيت المقدس « فلما ولدتها أنثى ، قالت متحسّرة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ٣٦

لقد تحسّرت كون وليدتها أنثى ، لأن الأنثى سعيها أضعف في الخدمة في بيت اللّٰه ، واللّٰه أعلم بما وضعت فهو الذي خلقها وصوَّرها .ثم استأنفت قائلة و إني سميتها) مريم (وهي بلغتهم العابدة والخادمة ودعت)حنة(اللّٰه تعالى ان يُجنب)مريم(وذريتها الشيطان الرجيم .

لقد تنافس الأحبار على تولي مريم ورعايتها ؛ لأنها كانت بنت إمامهم عمران فقد جاءت أم مريم بوليدتها إلى المسجد وكان عمران قد مات ، وقالت أم مريم للأحبار: دونكم النذيرة ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها، لأن خالتها عندي . فقال الأحبار نقترع عليها ، فتكون عند من يخرج سهمه . فخرج سهم زكريا ، فتولى زكريا رعاية مريم وكفالتها. وكان زكريا من ولد سليمان بن داود ورأس الأحبار ونبيهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧

أي تقبل الله تعالى النذر بأن تكون خادمة للمعبد وهذا لم يحدث لأنثى من قبل و جعل نشوءها نشوءاً حسنا وهو دليل على تكامل مريم أخلاقيا وروحيا. وكلما شبّت وتقدّم بها العمر ظهرت آثار العظمة والجلال عليها. وكانت مريم أفضل النساء في وقتها وأجلّهن ، فعن رسول الله)ص(قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد)ص(.

كبرت مريم تحت رعاية زكريا ، وكانت غارقة في التعبد . إذ يقول ابن عباس - إنهاعندما بلغت التاسعة من عمرها كانت تصوم النهار وتقوم الليل بالعبادة ، وكانت على درجة كبيرة من التقوى ومعرفة الله حتى أنها فاقت الأحبار والعلماء في زمانها وبنى لها محرابا في المسجد ، وكان يأتيها بطعامها وشرابها كلّ يوم. لكن زكريا)ع(كلما دخل عليها وجد عندها فاكهة في غير حينها ، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، غضّة طرية

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧

وكان زكريا)ع(يقول لها: من أين لك هذا ؟ كالمتعجب منه. قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ولادة عيسى (عليه السلام)

اصطفى الله تعالى الصديقة الطاهرة مريم لتحمل ابنه ومعجزته وتلد نبيه عيسى (ع) من غير أب فكان مثله كمثل آدم (ع) خلقه من تراب وقال له كن فيكون

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩

وقد بينت سورة مريم تفاصيل هذه الحادثة العجيبة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ١٦ - ٢٦

فقد خرجت مريم من المحراب يوماً لبعض شؤونها « وانتبذت » أي انفردت وحدها شرقيّ المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل (ع) فتمثل لها بشراً سوياً فلما رأته استعاذت بالله منه كي لاينعرض لها بسوء.

فخاطبها الملك قائلا: إنما أنا رسول ربك . أي لست ببشر ولكني مَلَكٌ بعثني الله إليك لأهب لك ولداً زكياً . قالت كيف يكون لي غلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ مريم: ٢٠

أي ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ مريم: ٢١

أي فأجابها الملك عن تعجبها من ولادة ولد منها والحالة هذه قائلاً ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي: وعد أنه سيولد منك غلام وأنت عذراء طاهرة. وهذا يسير على الله فإنه على ما يشاء قدير :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ مريم: ٢١

أي: ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق. فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر. وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ مريم: ٢١

أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته . بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزّهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء . فنفخ الملك وحملت بولدها . فابتعدت من الناس. لأنها. لما حملت. ضاقت به ذرعا . وعلمت أن كثيرا من الناس سيتهمها بالفاحشة وهي التقية النقية . وقيل إنها لما ظهرت عليها أعراض الحمل كان أول من تنبّه لذلك رجل من عُباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار . وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا . وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج . فتعرض لها ذات يوم في الكلام فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم . فمن خلق الزرع الأول ؟ ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن الله بشّرني.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥ - ٤٦

توارت مريم عن القوم واعتزلتهم وانفردت في مكان منطرّف . فاضطرها الطلق إلى اللجوء الى جذع النخلة . قال تعالى على لسان مريم (ع):

﴿ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ مريم: ٢٣

وذلك أنها علمت أن الناس سيتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها . وهي عندهم من العابدات الناسكات المنقطعات إلى المسجد المعتكفات فيه . ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهمّ ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذه الحال أو كانت لم تُخلق أصلاً فناداها أي جبريل (ع) إذ .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٤ - ٢٦

فهيأ الله تعالى لها الشراب والمغتسل وتلك النخلة اليابسة اثمرت بمشيئته لتمنحها أفضل غذاء وهو الرطب ولهذا

« قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ ﴾ مريم: ٢٦

وقال سبحانه:﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٦

أي فإن رأيت أحدا من الناس « فقولي » له أي بالإشارة ما حكاه قوله تعالى:

﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ مريم: ٢٦

أي صمتا ، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام. ويدلّ على ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مريم: ٢٦

فعيّرها الناس، وقالوا لها: لقد جئت بأمر عظيم مع أنك من بيت طاهر فأشارت حينها إلى الرضيع ليجيبهم، فقالوا لها: أتسخرين منّا. كيف نكلّم طفلاً ولیداً لايفقه شيئا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ مريم: ٢٩ – ٣٥

قلق الناس واضطربوا من إشارة مريم)ع(إلى الوليد. بل وربما غضبوا إلّا ان هذه الحالة لم تدم طويلا ، فظهرت أولى معجزات عيسى)ع(؛ لأن ذلك الطفل الذي ولد حديثاً قد فتح فمه وتكلم مدافعا عن أمّه مبطلا دعوى المسيئين إليها ، ولا يخفى أن أيّ طفل حديث الولادة لا يتكلم في الساعات أو الأيام الأولى لولادته كما هو متعارف عليه ، و غاية ما في الأمر أنه خارق للعادة ، وكلّ المعجزات تتصف بهذه الصفة ، أي إنها جميعا خارقة للعادة بمشيئة الله وقدرته .فلما تكلّم الوليد ذكر سبع صفات فقال :

١ ـ انه » عبد الله « وذكرها في بداية كل الصفات إشارة إلى أن أعلى مقام يصله

الإنسان هو مقام العبودية لله وهو إقرار بالعبودية لله ونفي للربوبية عن نفسه كما ادعى النصارى.

٢ـ انه صاحب كتاب سماوي » الانجيل« وله مقام النبوة ، فهو نبيّ مرسل.

٣ـ انه مبارك أي مفيد لوضع المجتمع هادي له . وفي حديث عن الإمام الصادق) ع (نقرأ أن معنى المبارك :)النفاع(أي كثير المنفعة .

٤ ـ ثم ذكرت الآيات كونه » بارّا بأمه «

٥ ـ انه)لم يكن جبّارا شقياً(بل كان متواضعا ، عارفا بالحقِّ .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ مريم: ٣٢

كلمة) جبار (تطلق على الشخص الذي يعتقد بأن له كلّ الحقِّ على الناس ولا يعتقد بأن لأحد عليه حقا . وكذلك يطلقونها على الذي يضرب الناس ويقتلهم إذا غضب ، ولا يتبع ما يأمر به العقل ، أو أنه يريد أن يسدّ نقصه ويغطيه بادعاء العظمة والتكبّر ، وهذه كلها صفات بارزة للطواغيت المستكبرين في كل زمان.

ولم يجعلني جبارا شقيا و) الشقي (تقال للشخص الذي يهيئ أسباب البلاء والعقاب لنفسه .

٦ ـ تأكيده وصية الله سبحانه بالصلاة والزكاة ، وذلك للأهمية الفائقة لهذين الأمرين ، لأنهما رمز ارتباط الخلق بالخالق.

وأما الدعاء الذي دعاه لنفسه ، ويرجوه من ربه في بداية عمره ، فهو أن يجعل هذه الأيام الثلاثة سلاماً عليه : يوم الولادة ، ويوم الموت ، واليوم الذي يبعث فيه، وأن يمنّ عليه في هذه المراحل الثلاثة بالشعور بالأمن والطمأنينة.

ابرز مايستنبط من السيرة

١ـ علوّ منزلة الأم ، فعلى الرغم من أن المسيح) ع (قد ولد بأمر اللّٰه النافذ من عذراء بلا زوج ، دلّت الآيات، ضمنيّاً على، أن هذا الطفل الصغير - الذي نطق بالإعجاز – أكّد ضرورة البرّ بالأم .

٢ـ أن أولى معجزات السيد المسيح تكلّمه في المهد. وقد اقترنت دعوته بمعجزات كثيرة منها أنه يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن اللّٰه .

٣ ـ إنّ اللّٰه تعالى وهب عيسى)ع(وسيلتين لهداية الناس هما العلم والحكمة وأيّده بالمعجزات التي تثبت صدق دعوته .

المناقشة

١.تحدث عن ولادة السيدة مريم)ع(وكيف تنافس الكهنة لتولي رعايتها؟ ومن الذي تولى كفالتها ؟ وكيف ؟

٢. صف عبادة مريم)ع(.

٣. هيأ اللّٰه تعالى لمريم)ع(أمورا عندما جاءها المخاض ،ماهي ؟

٤. ماوجه الشبه بين آدم)ع(وعيسى)ع(؟

٥. في خلق عيسى)ع(بيان لكمال خلق اللّٰه وتنوع قدراته. بيّن ذلك .

٦. لماذا تمنت السيدة مريم)ع(لو أنها لم تخلق أو أَنها ماتت ؟

٧. كيف واجه الناس السيدة مريم)ع(وهي تحمل مولودها؟ ومن هو الذي تولّى تزكيتها والشهادة لها بالطهر والعفاف؟

الدرس الثالث: من الحديث النبوي الشريف
((الناجون يوم القيامة))

للشرح والحفظ

قال النبي)صلى الله عليه وآله وسلم(:

(سبعةٌ يُـظلّهم اللهُ في ظلّه يومَ لا ظلّ إلَّا ظلّه إمامٌ عادلٌ. وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله (عـزَّ وجلّ) ، ورجلٌ قلبهُ معلقٌ بالمساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجلٌ دعتهُ امرأة ذات حسنٍ وجمال فقال إني أخافُ الله ربّ العالمين. ورجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شِماله ما تنفق يمينه. ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضت عيناه). صدق رسول الله)صلى الله عليه وآله وسلم(

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يظلّهم	يحميهم ويحفظهم من أهوال يوم القيامة .
ظلّ الله	كرامته وحمايته ورحمته.
نشأ في عبادة ربه	ابتدأ منذ صغره في عبادة الله تعالى
رجل قلبه معلق بالمساجد	محب لبيوت الله وتأدية الصلاة فيها ومداوم على العبادة في رحابها.
تحابّا في الله	أحبَّ كل منهما الآخر لصلاحه وتقواه وكانت صداقتهما خالصة لله. لا لغرض دنيوي.
فاضت عيناه	بكى خشية من التقصير في حقوق الله وشوقاً إلى رحمته.

شرح الحديث

هذه أمثلة سامية من المؤمنين الصالحين الذين يستظلّون بظلّ الله يوم القيامة فيشملهم سبحانه بعطفه ورحمته في ذلك اليوم المهول الذي سماه القرآن الكريم يوم الفزع الأكبر ووصفه الله تعالى بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ ﴾ الحج: ١ - ٢

وإذ الناس في غمرة الفزع والرعبِ والخوفِ من أهوال يومِ القيامة. إذا بالله تعالى يمنُّ على سبعةِ أصنافٍ من الناس. فيؤمنهم من الخوفِ والرعب ويُذهب عنهم الفزع والروع؛ ذلك لأنّهم كانوا يخشون الله ويطيعونه ولم تلههم سفاسف الحياة ومغرياتها عن الطاعة وهؤلاء السبعة هم:

١ - الإمام العادل:

والمراد به الحاكم العادل ومن ولي شيئاً من أمور المسلمين فلم يغرّه السلطان بالاستبداد والظلم .بل أطاع الله ووجّه سلطانه وقوته وجهده إلى العدل فلم يغمط حقاً ولم يفرق بين رعيته في المعاملة لهوى أو قرابة أو صداقة.. أو غير ذلك ملتزماً بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ النساء: ١٣٥

وعدل الحاكم يؤثر في الرعية فتشيع الطمأنينة بين الناس ويسود العدل وتنتهي الفوضى وتسود المصلحة العامة.

٢- الشاب الذي شبَّ وأستمرّ على طاعة الله:

وهو الشاب المتديّن المطيع لله والفاعل لكلّ خير والمتحكّم في نزواته الضابط لنفسه الكابح لجماحها وشرورها وشهواتها. الذي يكفّ نفسه عن الهوى والمعاصي وينتظر من الله تعالى الجزاء الأوفى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١.

فهذا الشاب يقضي شبابه ونشاطه في عبادة الله تعالى وطاعته. تاركاً نزوات النفس التي تجرّ صاحبها نحو الجموح والطيش والمعاصي. لكن الإيمان أقوى وهو وحده القادر على صرف النفس إلى الخير والرُشد. وتلك هي مجاهدة النفس ووضعها على طريق الاستقامة. وهذا هو الجهاد الحقّ. وهو خير الجهاد وقد اسماه الرسول (ص) بالجهاد الأكبر. « فقد قال لسرية بعد رجوعها من الجهاد : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ قال: (ص) جهاد النفس»

٣-المؤمنُ المعلقُ قلبه بالمساجد:

فالرجلُ الذي تعلّق قلبه بحبّ بيوت الله يتنسّم فيها عبير السعادة والأمان يداوم فيها على عبادة الله لا شكّ انّ مثل هذا الرجل طاهر القلب عامر النفس بالإيمان. سامي الروح يزورُ الله تعالى في بيوته. ويعمرها بالذكر فيُناجي الله سبحانه في رحابها ويلتقي فيها بإخوانه المصلّين .وهم يؤدون معاً صلاة الجماعة ويتخذون من هذا اللقاء فرصة للتشاور والتناصح والتعاطف والتعارف ودفع الضرر ومساعدة المحتاجين وإصلاح ذات البين ونشر قيم الإسلام في التسامح والأخوّة والرحمة والسلام. وبذلك يكون إعمار المساجد باعمال الخير إلى جانب إعمارها والمشاركة في بنائها..وقد حثّ القرآن الكريم المؤمنين على التعبد في المساجد :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ

ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ النور: ٣٦ – ٣٧

٤- المتحابّان في الله:

وهما الصديقان اللذان صداقتهما قائمة على أساس التقوى. وقرُب كلّ منهما لله فأحبَّ كلٌّ منهما الآخر لصلاحه وتقواه قائمة لله حباً حقيقياً لا ظاهراً فقط . فابتعدا من صداقة الغايات والمصالح الذاتية ومن صداقة النفاق والرياء.

وهذا النوع من الصداقة هو أسمى أنواع الصحبة ويسمى بالأخوّة في الله وهي مصدرُ الخير والاتحادِ والتعاون وكلِّ ما فيه نفعٌ للمجتمع. فصداقتهما هذه تدوم على المحبة ولا تُقطع لعارضٍ دنيوي؛ لأن الإيمان الذي يربطُ قلبيهما معاً إيمان صادق.وهذا ما أراد الله سبحانه بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ الحجرات: ١٠

ولا يفرق بين مثل هذين الصديقين إلاّ الموت.

٥- المؤمن العفيف:

المؤمنُ يتغلبُ على كلِّ صور الإغراء المُحرمة ومظاهرها.وان قويت الدوافع إليها. وذلك بتقواه وترفعه عن الأثم فيتحكم بنفسه في هذا الموقف العنيف فيتغلب خوف الله وخشيته على شهوته اذا ما راودته امرأة تمتلك كلّ وسائل الترغيب كالمال والجمال ،والمنصب.وهنا يجبُ أن تظهر قوة إيمان المؤمن ومقدارخشيته لله وحرصه على ألّا يُضيع إيمانه إذ إنّ الزنا والإيمان على طرفي نقيض. وكذلك المنكرات الأخرى قال رسول الله)ص(:)لايزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن(.والمؤمن إذ يتخذُ هذا الموقف ويرفضُ الإغراء والغواية. إنما يقتدي بالنبي يوسف)ع(الذي راودته امرأة عزيز مصر عن نفسه. ولكن رفض السقوط في الإثم. وفضَّل السجنَ على ذلك فقال ماحكاه قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ﴾ يوسف: ٣٣

وهذا هو شأن المؤمن في كلِّ زمان. وهذا الخُلق بالتأكيد هو العفاف والخشية من الله في أروع صورها. وإذا أحاطت بالمؤمن المغريات ،ونازعته نفسه فليتذكر أن الله تعالى أعدَّ للمؤمنين الصابرين المتعففين من النعيم الدائم والسعادة الخالدة ما يتضاءل أمامه متاع الدنيا الفانية. وفي العفّة صيانة للنفس من مهالك الأمراض وعارها كالايدز وغيره من الأمراض الناجمة من اقتراف الحرام فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمراض عقوبة عاجلة في الدنيا.وهناك عقوبة آجلة في الآخرة.

٦- المؤمن المتصدق:

وهو الرجل الذي يتصدّق وينفقُ مالَه لوجهِ الله. وفي سبيله. في خفاءٍ تامّ ستراً على الآخذ. ويبالغ في إخفاء الصدقة حتى لاتعلم شماله مع قربها من يمينه ما أنفقت اليمين. بدافع العطف على المسكين والرغبة في تفريج كربة المكروب. بعيداً من المنِّ والرياء أو الشهرة ، وبعيداً من المنافع الدنيوية.

٧- المؤمن الخاشع:

وهو الذي ذكر الله سبحانه وتعالى بقلبه. ولسانه مؤمناً بجلاله ،وعظمته وشدة عذابه. وسعة رحمته ، فانهمرت دموعه خشية من التقصير في حقِّه ، وشوقاً إلى سحائب رحمته.. ومن كانت عنده هذه السجية بما تتضمن من رقة القلب وصفاء النفس. وحبِّ الله. فهو بلا شك رجل خير لايُنتظر منه إلَّا الخير والصلاح والنفع العام.

أهم ما يرشد إليه الحديث الشريف

١.التزام العدل بين الناس فعلى كلّ مسلم ومسلمة)وخاصة كلّ حاكم ومسؤول (أن يعدل بين الناس. ففي العدل كلّ الخير وفيه الطمأنينة والحياة الهادئة السعيدة.
٢.)رأس الحكمة مخافة الله (.فالخوف من الله دليل الإيمان الصحيح ومخافة الله تقي الإنسان الوقوع في المحرّمات.

٣.)الصلاة عمود الدين(وبها يكون صلاح الفرد ذاتياً.فعلى المسلمين تنشئة الأبناء تنشئة دينية ملتزمة نابعة من روح الإسلام البعيد من التطرف، وأن يعمروا مساجد الله بالذكر والتناصح وفعل الخيرات ونشر السلام بين الناس.

٤.وجوب اختيار الأصدقاء الصالحين والابتعاد من رفاق السوء، وخير الاصحاب مَنْ كان يحبّك في الله، وينصحك لما يُرضي الله، فهذه هي الصداقة الحقة البعيدة من المصالح والغايات.

٥.وجوب التزام العفّة والتمسّك بالخلق المتين متمثلا بقوة الإرادة في كبح جماح الشهوات ، من خلال استذكار العواقب الوخيمة الناجمة عن الابتعاد من العفّة ؛ لذا يجب الإخلاص لله في السرِّ والعلن، والرغبة في عمل الخير والعطف على المحتاجين والابتعاد من مسار الشيطان ،فهذه هي الخصال الفاضلة التي أرادها الإسلام لنا.

المناقشـــــة

١.ما مواصفات الحاكم والمسؤول العادل ؟

٢.أسمى أنواع الصحبة المتحابان في الله ، فمن هما؟

٣.المؤمن يتغلب على صور الإغراء المحرمة وان قويت الدوافع اليها .فمن قدوتنا في ذلك؟

٤.إعمار المساجد لايقتصر على البناء وضح كيف يكون ذلك؟

٥. ما الذي يجب مراعاته عند اختيار الاصدقاء؟

٦. ما أثر مخافة الله في سلوك الفرد؟

٧. ما آداب الصدقة؟

٨. ما الذي أعده الله تعالى للمؤمنين المتعففين ؟ وما الذي وعده لمن يقترف المحرمات ؟

الدرس الرابع: أبحاث
حقوق الزوجين وواجباتهما

الزواج عقد وثيق وشراكة مهمة يبارك الله فيها ويرعاها، ويريد لها ان تبقى وتدوم، ولذلك فصّل في حقوق الزوجين وبيّن واجبات كل منهما، كي لا يعكر صفو الحياة الزوجية معكر أو ينقض هذا الرباط الإنساني ناقض، فما هذه الحقوق والواجبات؟

أ. حقوق الزوجة:

١. **المهر:** وقد تقدم ذكره وهو حقٌّ خالص للمرأة لايجوز لأحد ان يأخذه الا برضاها.

٢. **النفقة:** على الزوج أن ينفق على زوجته وان كانت غنية. وفي مقابل ذلك يكون هو القيم على البيت ومَنْ فيه.

يقول الرسول(ص): ((اتقوا الله في النساء فانهن عوانٍ عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)).

لكن المرأة إذا تمردت على زوجها فلم تطعه أو تسمع له، وتركت بيته، فعند ذلك تسقط نفقتها لأنها لم تقم بواجبها الزوجي فلا تستحق النفقة، وإذا عجز الزوج عن الإنفاق كان لها ان ترفع أمرها إلى القاضي الشرعي للنظر فيه.

٣. **حُسن معاملة المرأة:** إن حقوق المرأة ومتطلباتها، ليست مادية فقط بل هناك حاجات نفسية أخرى، فعلى الزوج أن يتلطف بزوجته ويُدخل السرور عليها، وقد كان الرسول(ص) يعامل زوجاته أفضل معاملة.

والمرأة إنسان يُصيب ويُخطئ ويُحسن ويُسيء، فعلى الرجل أن يعرف ذلك ويعاملها بالحسنى، قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ١٩

وقد ورد في الحديث الشريف قوله (ص): (خيركم خيركم لأهله) كما يجب على الزوج ان يحترم زوجته ويرعَ حقوقها ويحفظ كرامتها. فلا يؤذيها بقول أو فعل. ولا ينتقص أهلها ولاينابيها بما تكره.

ب. حقـــوق الـــزوج :

١.الطاعة فيما لامعصية فيه لله : لما كان الرجل هو المسؤول الأول عن البيت فلا عجب من أن يكون له حقُّ الطاعة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ النساء: ٣٤

وهذه المسؤولية هي الدرجة التي ميّز بها الرجل من المرأة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٢٨

وقوامة الرجل على المرأة أمر طبيعي لاغرابة فيه فهي تكليف على الرجل لاتشريف له. لأن الحياة الزوجية حياة اجتماعية وشركة تخص أخصّ علاقات الإنسان بغيره وعلاقة الزواج. الأصل فيها الدوام. وكل شراكة أو اجتماع لابد له من مدير يكون المرجع في حسم الخلاف لئلا تختل الشركة وتفصم العلاقة ويزول الاجتماع. والرجل أحقّ بهذه المسؤولية من المرأة عادة. وهو أضبط لعواطفه من المرأة. وهو المكلف بالإنفاق على البيت وافراده . وليس في هذه القوامة تجاوز على المرأة فهي مبنية على المودة والرحمة والمعاملة الحسنة والحرص التام على منفعة الاثنين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء: ١٩

فقوامة كهذه تقوم على المودة والرحمة والمعاشرة الحسنة لاتكون استبدادية ولا مكروهة ولا ثقيلة على النفس بل تكون مقبولة مرضية.

٢. أن تحفظه في نفسها وماله قال)ص(:).. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي المسؤولة عن رعايتها...(ومن الحفظ أن تصونَ نفسها عن الشبهات وأن تحفظَ عرضه وتحفظ أسراره ، ولاتسمح بدخول بيته لمن يكرهه، ولاتخرج من بيته إلَّا باذنه، ومن الحفظ عدم الاسراف وتبذير أمواله، وأن لاتُرضِع طفلاً من غير أطفالها الا بأذنه .

٣. معاونة زوجها بالمعروف: لأنها شريكة حياته ومن أقرب الناس إليه والتعاون أساس السعادة الزوجية وسبب مهم من أسباب إدامتها فمتى شعر الزوج أن زوجته تهتم بشؤونه وتعاونه اعتزَّ بها واحبَّها واحترمها فكانت أسرة سعيدة من غير شك.

٤. رعاية أولادهما: وهذه أهم واجبات المرأة، إذ لايمكن أن يقوم بذلك أحد، كما تقوم به الزوجة فحنان الأم وعطفها ضرورة من ضرورات الحياة بالنسبة للطفل وهو أمر لايمكن ان نجده لدى دور الحضانة والمربيات وغيرهم.
كما ان أهم واجبات الزوجة العناية بالأولاد والاهتمام بهم فتربية جيل سليم أفضل من أي عمل تقوم به المرأة مهما كبر أو عظم في نظرها، ولذلك أمر الإسلام أن يودع الصغار إلى امهاتهم عند الاختلاف بين الزوجين لأنه لا أحد في العالم كالأم بالنسبة الى الطفل، على ان هذا لايمنع من أن يوكل أمر رعاية الطفل إلى غير امِّه إذا اقتضت الضرورة.

تعدد الزوجات

المقصود بتعدد الزوجات أن يكون للرجل في وقت واحد اكثر من زوجة واحدة ولابدَّ من بيان حكمه ومن ثم بيان حكمته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ النساء: ١٢٩

تفيد الآيتان الكريمتان:

أ. إباحة تعدد الزوجات إلى حدّ الأربع.

ب. ان التعدد مشروط بالعدل بين الزوجات. فمن عَلِمَ أن لاقدرة له على العدل لم يجز له أن يتزوج بأكثر من واحدة ويقصد بالعدل الأمور المادية كالسكن واللباس والطعام والشراب وما أشبهها مما يكن فيه العدل .

ج- العدل في الحب والمساواة فيه بين النساء غير مستطاع لأنه من الأمور الوجدانية ولذلك لايسأل الزوج عن عدم مساواته فيه بين الزوجات. ولكنه يؤاخذ إذا رتّب عليه نتيجة مادية في الواقع كأن ينفق على إحداهنّ أكثر من الأخريات بسبب ميله إليها. وتقليل النفقة عن إحداهن بسبب قلة ميله إليها.

حكمة التعدد:

يثير خصوم الإسلام مسألة تعدد الزوجات ويحسبونها منقصة في الإسلام، والواقع إباحة تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية يُعدُّ من محاسنها لا من مثالبها، ومن أدلة واقعيتها وصلاحيتها للبقاء، ولتوضيح هذه المسألة التي يثير الاعداء الغبار حولها دائما ليتخذوا منها منفذاً للطعن في الإسلام، نقول ان توضيحها يزيل الأوهام عنها ويجلي حقيقتها، ويردُّ تقولات الأعداء وتخرصاتهم، وهذا التوضيح يستلزم ذكر ما يأتي :

أ. تعدد الزوجات ليس فرضاً ولا واجباً ولا مستحباً بل درجته الإباحة، والمباح متروك أمره للإنسان إن شاء فعله وان شاء تركه بحسب ما يراه من المصلحة له في الفعل والترك ، وعلى هذا يستطيع المسلم الا يُعدِدَ زوجاته، ويكتفي بزوجة واحدة ولا تثريب ولا لوم عليه، وإذا وجد حاجة في التعدد فله ان يعدد، وتقدير الحاجة متروك للشخص نفسه ولولي الأمر أو من ينوب عنه حقَّ التدخل ومنع الشخص من التعدد إذا لم ير حاجة إليه.

ب. ومن ضروب الحاجة إلى التعدد عقم الزوجة ورغبة الزوج في إنجاب الذرية وتشوقه إليها، فمن العدل أن تمكنه من الزواج الثاني، ومن حسن عقل المرأة أن تدرك حقَّ الزوج في هذا الزواج الثاني، ومن الحاجة ايضا ابتلاء الزوجة بمرض يمنع الزوجة من أداء متطلبات الحياة الزوجية.

ولا علاج لهذه الحالة إلّا بالتعدد، والتعدد أولى من الطلاق، ومن الحاجة أيضاً ان يضمَّ الزوج الكريم إلى بيته منقطعة أو يتيمة أو قريبة له وأحسن الضم وأكمله أن يتخذها زوجة، فبذلك تحيا حياة حرة وتعيش معززة مكرمة لها ما للنساء الكريمات وعليها ما عليهن .

ج. إباحة التعدد يكون هو الحل الوحيد لحالات خاصة تمرّ بالمجتمع وهي كثيرة الوقوع أو في الأقل ليست نادرة، ففي أوقات الحروب تأكل الحروب الرجال وتدع النساء وهذا هو الغالب في شأن الحرب، فإذا وضعت الحرب أوزارها برزت للمجتمع مشكلة خطيرة جداً هي كثرة النساء، وقلة الرجال ولا بدَّ من إيجاد حلٍّ لهذه المسألة لأن اقتران المرأة

بالرجل من الحاجات الأصلية للإنسان. والحلّ لايكون إلا بأحد أمرين : إمّا بجعل الاتصال يقع بالحرام لتحريم التعدد. وإما بإباحة تعدد الزوجات في ظل القانون وتحريم العلاقات غير الشرعية والحلّ الثاني هو ما أخذت به الشريعة الإسلامية وهو إكرامُ للمرأة وانفع للمجتمع وأحفظ للشرف فأباحت التعدد لأربع وحرمت الزنا وجميع المعاشرات غير الشرعية.

د. في التعدد إكثار للنسل، وإكثار النسل في بعض المجتمعات أمر مهم وضروري لا سبيل له إلَّا بإباحة تعدد الزوجات في ظل القانون وعلمه وإقراره. من هذا العرض يظهر إن إباحة التعدد في الشريعة الإسلامية يعدّ من محاسنها وبعد نظرها ووضعها الحلول والأحكام لاحتمالات المستقبل ولظروف الأفراد والجماعات التي تستلزم التعدد.

المناقشة

١. ما حقوق الزوجة؟

٢. هل يجوز لولي الأمر أخذ مهر ابنته؟

٣. متى تسقط نفقة الزوجة ؟

٤. استشهد بآية وحديث شريف على وجوب حسن معاملة الزوجة.

٥. ما حقيقة قوامة الرجل، وهل تُعدُّ تكليفاً أو تشريفاً ؟ ولماذا اختص بها الرجل من دون المرأة ؟

٦. ما حقوق الزوج؟

٧.هل يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها من دون إذن الزوج؟

٨. كيف تحفظ الزوجة زوجها في نفسها؟

الدرس الخامس: التهذيب

((قصص وعِبر))

من استغنى أغناه اللّه تعالى:

روي أنه : اشتدّ فقرُ رجلٍ من أصحاب النبي)ص(فقالت له امرأته : لو أتيت رسول‌الله)ص(فسألته أن يعطيك ، فذهب الرجل إلى النبي)ص(. فلمّـــا رآه النبي)ص(وقبل أن يتحدث الصحابي **قال النبي)ص(:**

))من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله ((

فقال الرجل : ما يعني غيري . فرجع إلى امرأته فأعلمها بالذي حدث ، فقالت: إنّ رسول الله)ص(بشر فأعلمه ، فأتاه فلمّا رآه رسول الله قال)ص(: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ، حتّى فعل الرجل ذلك ثلاثا ، حينها ذهب الرجل فاستعار معولاً ثمّ أتى الجبل فصعده ، فقطع حطباً ثمّ جاء به ، فباعه واشترى بثمنه طعاما ، فرجع به فأكله ، ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر من ذلك ، فباعه ، فلم يزل يعمل ويجمع حتّى اشترى معولاً ، ثمّ جمع حتّى اشترى ناقتين وغلاما ، ثمّ أثرى حتّى أيسر ، فجاء إلى النبي)ص(فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي ، فقال النبي)ص(: قلت لك :))من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله((

ابرز مايستنبط من القصة

١.ان اللّه تعالى يبارك بالرزق الحلال وماكان بكسب اليد.

٢.عدم اعتماد الحلول السهلة على حساب الكرامة والعزة .

٣.من أراد العمل بشرف وعزة ، لن يستنكف البدء بأبسط الأمور مادامت بشرف وبكسب حلال .

٤.الحثّ على العمل مهما كان بسيطا فلقمة الحلال سبب الهناء وراحة البال.

٥.الصبر والاجتهاد والعفاف سبيل الى الغنى ونماء الرزق.